م.ت.ف. مجدداً في عمان ؟ ولماذا تحمّل المخاطر من خلال رفض المقترحات الاميركية والاسرائيلية والاصرار على اشراك م.ت.ف. في العملية «السلمية» ؟ واذ تعود الدوافع الاردنية، من جهة، الى الاسباب التاريخية، الديمغرافية والجغرافية، المعروفة، ومن جهة اخرى الى الخوف من مشروع اريئيل شارون وغيره لتحويل الاردن الى وطن فلسطيني بديل، فان ثمة عاملاً يدفع العرش، ايضاً، نحو الصراع والمجابهة مع م.ت.ف. ويذكر المؤلف التخوف الاردني من قيام الفدائيين بطرح انفسهم كمركز ولاء بديل للعرش، وتعبئتهم لفلسطينيي الضفة الشرقية، واثارتهم للنزاع المسلح مع اسرائيل؛ وهي اعتبارات دائمة، تقوى وتضعف حسب الظرف الخارجي.

يطرح سحلية ان الظرف الخارجي قد اقنع القيادة الاردنية، العام ١٩٨٣، بضرورة زيادة دور بلدهم الاقليمي، على عكس الموقف الحذر السابق، وذلك بهدف تولي المبادرة وتحويلها عن الاردن قبل ان يبادر الآخرون على حسابه. ولم تكف مقترحات ريغان الاحتياج الاردني، مما دفع العرش نحو التعاون مع م.ت.ف. لكن لم تكن المنظمة قادرة على حسم امورها دون تهديد وحدتها في ذلك الوقت. فاذا كانت دوافع القيادة الفلسطينية لفتح وتطوير الحوار مع الاردن ـ خصوصاً الرغبة بمنع الاردن من الاشتراك بمسار سياسي يعزل المنظمة، والبحث عن مأوى ومصدر قوة يعوض عن فقدان لبنان والتعرض الى الضغط السوري ـ تشجعها على تعميق الاتفاق السياسي، فإن عوامل تصلب المعارضة الداخلية وزيادة التهديدات السورية عملت بعكس ذلك الاتجاه. وقد تلقت القيادة الفلسطينية تحذيرات واضحة في شكل المؤتمر الذي عقدته ليبيا لاطراف «الرفض» الفلسطيني والتشكيك السوري العلني في شرعية قيادة ياسر عرفات للمنظمة، كما تعرض الملك حسين لضغوط اولئك من اعوانه ومواطنيه الذين عارضوا استرجاع الضفة الغربية واحياء الحوار مع م.ت.ف. بسبب رفضهم احتمال استيعاب المزيد من الفلسطينيين او تولي المسؤولية عن الضفة واهلها.

الا ان ما جمدّ الاتصالات الاردنية ـ الفلسطينية لفترة طويلة وعرقلها كان انفجار الخلاف الداخلي في «فتح» وظهور حركة تمردية بقيادة بعض ضباطها ومسؤوليها، في وقت تصاعد الصراع مع النظام السوري. وقد منع خوف القيادة الفلسطينية من هذا التطور تحديداً تقدم الحوار الاردني ـ الفلسطيني اصلاً. وحين حصل بالفعل، انشغلت تلك القيادة بصراعها من اجل البقاء. ويتناول سحلية خلفية انشقاق «فتح» والدور السوري فيه ومحاولات الوساطة العربية، لما حمل من اهمية قصوى لمصير م.ت.ف. في فصله السادس حول «الانشقاق في ' فتح ' والهوة بينها وبين سوريا».

كما في الفصول السابقة، يبدأ المؤلف باستعراض خلفية النزاعات داخل «فتح»، مسترجعاً الى الذاكرة الصراعات الفكرية والتنظيمية التي اعقبت الخروج من الاردن العام ١٩٧١ ، ثم الجدال الحاد حول جدوى الدبلوماسية والعمل العسكري في اعقاب حرب العام ١٩٧٣ وطرح مشروع مؤتمر جنيف الدولي. وتجسد الصراع الداخلي في المواقف المتناقضة تجاه دخول قوات الطوارىء الدولية الى جنوب لبنان العام ١٩٧٨ وحالة الهدنة التي سعت م.ت.ف. الى تحقيقها هناك حتى العام ١٩٨٢، اذ بدأ تبلور محاور واضحة داخل «فتح» تحالف بعضها مع محاور اخرى او مع تنظيمات فلسطينية اخرى، حتى مع سوريا. وقد جاءت العوامل التي وحّدت المعارضين لقيادة م.ت.ف. والتي اعطت لهم الفرصة لتنفيذ حركة انشقاقية تحت شعارات مقبولة نسبياً لدى قطاع اوسع من القاعدة الفلسطينية، في فترة ما بعد حرب ١٩٨٢، حين فشلت قيادة م.ت.ف. في تقويم تجربة عشر سنوات في لبنان وفي محاسبة الكوادر والعناصر، وحين لجأت الى وجوه ورموز غير مقبولة قاعدياً في التعيينات العسكرية والتنظيمية. صحيح ان سحلية لا يملك الخلفية ليقدم تقويماً خاصاً لصدق ومصداقية المعارضين ـ بل ان كثيراً من قياديهم ومحرضيهم الرئيسين متهم التهم ذاتها التي يطرحها ـ لكنه يقدم صورة واقعية لطبيعة الخلافات والموازين.

يظهر سحلية، ايضاً، كفاءة عالية في سرد الوقائع المتتالية، السياسية والميدانية، خلال العام ١٩٨٣: تراكم وتفاقم الخلاف مع سوريا؛ ردود الفعل الفلسطينية ومحاولات التوسط؛ المساعي العربية؛ حرب طرابلس، فيقدم نصاً يحتوي على بيانات ومواقف سياسية للعديد من الاطراف، دون ان يتحول الى سرد ممل للوثائق، او الى رواية قصصية خالية من العمق والتحليل. فهو يقوم، اولاً، الادعاءات المتناقضة حول حجم الدور السوري، او